البيت المرواني

مـــروان بن محمـد

١٢٧ـ ١٣٢هـ / ٧٤٤ـ ٧٥٠م

هو أبو عبد الملك، **مروان بن محمد** بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، القرشي الأموي، - (٧٢ هـ-١٣ ذي الحجة ١٣٢هـ/٢٣ يوليو ٧٥٠ م) -، أمير المؤمنين، آخر خلفاء بني أمية، وأمه **أمة كردية** يقال لها: لبابة، وكانت لإبراهيم بن الأشتر النخعي، أخذها محمد بن مروان يوم قتله فاستولدها مروان هذا، ويقال: أنها كانت أولاً لمصعب بن الزبير[١].

يعرف مروان بن محمد بمروان الحمار، ويمروان الجعدي نسبه إلى مؤدبه جعد بن درهم ويقال: أصبر في الحرب من حمار، وكان مروان بطلاً شجاعاً داهية رزيناً جباراً يصل السير بالسرى، ولا يجف له لبد، دوخ الخوارج بالجزيرة، ويقال: بل العرب تسمي كل مئة عام حماراً فلما قارب ملك آل أمية مئة سنة، لقبوا مروان بالحمار وذلك مأخوذ من موت حمار العزير عليه السلام وهو مئة عام ثم بعثهم الله تعالى مولد مروان بالجزيرة في سنة اثنتين وسبعين إذ أبوه متوليها وأمه أم ولد وقد افتتح في سنة خمسين[٢].

كان مروان بن محمد قبل أن يتولى الخلافة الأموية حاكماً على ولاية أرمينية وأذربيجان تولاها سنة (١١٤ هـ = ٧٣٢م) من قبل هشام بن عبد الملك، فأظهر كفاءة وقدرة في إدارة شؤون ولايته وبذل جهداً كبيراً في ضبط أمورها، ورد غارات الترك والخزر على حدود ولايته، وظلّ مروان على ولايته حتى نجح في الجلوس على كرسي الخلافة الأموية بعد أن لعبت به الأهواء. ولم تكن الظروف التي تولى فيها مروان بن محمد تساعده على الخروج بدولة الخلافة من أزمتها، بل كانت مضطربة تغلي كالمرجل فتحمل هو عبء أوزارها، وحاول بكل ما يملك من قوة إصلاح اعوجاجها، ولكنه كلما خلص من أزمة ظهرت له أخرى، كأنها تنتظره فأنهكت قواه، واستغرقت جهده ووقته، ولم تدع له فرصة للتفسير الهادئ والتأمل الرزين. وكانت دمشق معقل الأمويين ومركز أنصارهم منقسمة على نفسها شيعاً وأحزاباً، وامتد هذا إلى الشام كله، وأصبح الأمر كله منذراً بالخطر، فحاول مروان أن يهدئ النفوس، ويسكن القلوب الثائرة بأن عرض على أهل الشام أن يختاروا من يرضونه والياً عليهم دون نظر إلى عصبيته وقبيلته، ففعلوا ذلك، وبهذه الخطوة الطيبة نجح مروان في أن يرتّب أوضاع الشام وأن يعيد الهدوء والنظام إليها[٣].

اتخذ مروان من مدينة حرّان في أقصى الشمال من بلاد الشام مقراً له بعيداً عن قلب الشام المضطرب، وقريباً من مكامن الخطر في الشرق، وفي كل الأحوال فقد اعتبر الكثيرون عملية نقل العاصمة إلى حران إساءة كبيرة لأهل الشام عامة، لم يستطع الوقوف في طريق المؤامرات والفتن التي عصفت بدولته. هزم في معركة الزاب الحاسمة، وسقطت دولة الأمويين بعدها، وقيل إنه استمر متخفياً حتى عثر عليه في قرية « أبوصير » المصرية وقتل في ١٣ من ذي الحجة سنة ١٣٢هـ.

أهم مصادر ومراجع الصفحة

١ - ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، الجزء العاشر، النسخة الرقمية .

٢ - شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، النسخة الرقمية .

٣ - أ. أحمد تمام، مروان بن محمد والإنقاذ المستعصي، موقع إسلام أون لاين .

خلافة مروان بن محمد سنة ١٢٧ - ١٣٢ هـ

رغم أن الدولة الأموية انتهت وانهارت في عهده أو بنهاية خلافته إلا أنه يعتبر من فرسان بني أمية وشجعانهم ولم يكن مروان من القادة العاديين، فهو إلى جانب مهارته في القيادة وحيله الحربية ومعرفته بنفوس المحاربين، فاجأ العدو بخطط حربية لم يألفها، فكان بعدد صغير من الجيش يقضي على عدد كبير من الأعداء ويذكرنا مروان ابن محمد في حروبه برومل بطل الألمان في حربه للإنجليز بشمال إفريقية في الحرب العالمية الأخيرة [١].

وكان من عبقرية مروان أنه لم يعتمد على التنظيم القبلي، بل جعل جيشه مقسماً أقساماً متشابهة متكاملة في أجزائها، تستطيع الفرقة أن تلعب في ميدان القتال بمفردها ما تفعله عدّة قبائل غير متجانسة، وكان مروان يلقي بكتيبة من كتائبه في الحرب فرقة بعد فرقة، فإذا ظن العدو أنه تمكن من الكتيبة التي تحاربه، ألقته كتيبة أخرى تذهله بقوتها الجديدة وعلى كل كتيبة اسم تسمى به " كالذاكونية والوضاحية" . وهذه الكتائب تتكون من الأفراد المدربين، كل منهم ذو عمل محدد يتقنه والانسجام مطلوب منهم في أعمالهم، وهم لا يعتمدون على الغنيمة التي تدرها الحرب عليهم، بل على أجور منتظمة يأخذونها وتكفيهم أودهم وقد حققت خططه في القتال انتصارات كثيرة على خصومه، حتى لندهش من المعارك العديدة التي قارع فيها مروان خصومه، فكان يقضي عليهم الواحد بعد الآخر، مع أن ظاهر أمله في النجاح ضعيف، وكان مروان شيخاً محنكاً حين توفي يزيد بن الوليد، فقد كان تجاوز الخامسة والخمسين من العمر، وكان يعد شيخ بني أمية، وهو رجل ذو طموح عجيب، وقد وجد أن من بقي من بني أمية لم يكونوا بمستواه من القدرة والقوة والكفاءة، فطمع إلى الخلافة، وتلك بادرة من بوادر انهيار الدولة الأموية، فبدلاً من أن تنتقل الخلافة بالعهد – كما هو السائد في النظام الأموي – صار الطامحون يسعون إليها بالقوة، أو بالمؤامرات، كما فعل يزيد بن الوليد قبل مروان هذا، وتظهر رغبة مروان في أن يلعب دوره في الوصول إلى الخلافة حين امتنع عن مبايعة يزيد بن الوليد واعتبره مغتصباً للخلافة وأراد أن يعلن عصيانه عليه لولا أن يزيد تلافى ذلك بتثبيته على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان والموصل، فرضي وبايع ليزيد، ولكن يزيد لم يلبث أن توفي سريعاً، في نهاية ١٢٦هـ وكان قد عمل قبل وفاته لأخيه إبراهيم بن الوليد فبايعه بعض الناس بالخلافة [٢].

لم يستقر الأمر لخلافة إبراهيم بن الوليد وأخذ مروان يزحف على دمشق، وقد هزم وهو في طريقه إليها جيش إبراهيم بن الوليد الذي كان قد أرسله لإخماد ثورة أهل حمص وفر قائد الجيش سليمان بن هشام إلى دمشق فاستولى هو وإبراهيم بن الوليد على ما في بيت المال وفرا هاربين، تاركين دمشق مفتوحة الأبواب، فدخلها مروان، فوجد ابن الوليد ابن يزيد – الحكم وعثمان – قد قتلا ولما كانا في نظره، هما أصحاب الحق الشرعي في الخلافة، وأنه ما خرج إلا للمطالبة بدم أبيهما وحقهما فيها، وبعد موتهما لم يعد هناك من يستحقها غيره خصوصاً بعد أن شهد له أبو محمد السفياني بأن ابني الوليد عهدا له بها وتقدم وبايعه وتبعه الناس فبايعوا مروان وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ١٢٧هـ، وبهذا أصبح مروان آخر الخلفاء الأمويين [٢].

١- د . يوسف العش، الخلافة الأموية، ص ٤١٠ .

٢، ٣ – د . علي الصلابي، تاريخ الدولة الأموية، ص ٥٤١ – ٥٤٢.

الأوضاع السياسية في مستهل خلافة مروان

أول خطـر داهم مروان بن محمد هو انقسام الأمويين على أنفسهم، والذي كان من أسوأ نتائجه انقسام كتلتي العـرب الرئيستـين فـي الشـام وهمـا: اليمنيـون والقيسيون، فقـد انقلب اليمنيون ضد مروان، وانحاز القيسيـون إليه، وتظهـر خطورة هذا الانقسـام في أنه حـدث في مقر الخلافـة الأموية (دمشـق) وبين أكثر أنصـار الأمويين قوة، ولهـذا كان اضطـراب الأمر في الشام، إيذاناً باضطراب أمر الدولة كلها.

الدولة الأموية

١ بعـد أن تم الأمر لـمروان الثاني واستقر له الحكم في بلاد الشام، أقـام بحـرّان وجعلها حاضرته، وهذا بفعـل نشأته فيها في ظل غلبة القيسية، وقد أدى ذلك إلى انحراف اليمنية عنه. د.عاقوش

٢ حـاول مروان منذ بيعته في دمشـق، أن يهدىء خواطر الناس، وأن يبعـث الثقة في النفوس، فلما بايعـه الناس عرض عليهم أن يختاروا بأنفسهم من يرضون من الولاة لولايات الشام الرئيسة، يقول الطبري: "فأمرهم أن يختاروا لولاية أجنادهم، فاختار أهل دمشق زامل بن عمرو الجيراني، وأهل حمص عبد الله بن شجرة الكنـدي، وأهل الأردن الوليد بن معاوية بن مروان، وأهل فلسطين ثابت بن نعيم الجذامي".

٣ بعد نقل الخلافة انضم اليمنيون إلى الدعوة العباسية، وشعر أهل الشام أنهم خسروا مكانة دمشق، وما كان يجره ذلك من خيرات، لذلك عمت النقمة بلاد الشام. د.عاقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ١٧٤

١ خروج أهل **حمص** ١٢٧هـ: كان أهل حمص قد بايعوا مروان الثاني وساروا معه إلى دمشق، إلا أنهم خرجوا على حكمه بعد ذلك، وحاول مروان الثاني في بادئ الأمر، إصلاح الأحوال بالطرق السلمية، إلا أن أهل حمص لم يرتدعوا، عندئذ اضطر **الخليفة** أن يخرج بنفسه لوضع حد لحركتهم، وكانت له مع أهل حمص وقائع حاسمة انتصر فيها عليهم وهدم أسوار المدينة . د. الصلابي، الدولة الأموية، ص ٥٤٥ .

٢ ثورة أهل **الغوطة** سنة ١٢٧هـ: بينما كان مروان مشغولاً بقمع ثورة حمص، نشبت ثورة أخرى في الغوطة فقد ثار أهلها وولوا زعيماً يمنياً، وهو يزيد بن خالد القسري، وساروا إلى دمشق فحاصروها، ولكن مروان أرسل إليهم وهو في حمص قائدين من قواده، هما أبو الورد بن الكوثر بن زفر بن الحارث، وعمر بن الوضاح في عشرة آلاف : فلما دنوا من المدينة حملوا عليهم، وخرج عليهم من بالمدينة، فانهزموا واستباح أهل مروان عسكرهم، وأحرقوا المزة وقرى اليمانية وأخذ يزيد بن خالد فقتل، وبعث زامل ابن عمرو والي دمشق برأسه إلى مروان بحمص. د. الصلابي، الدولة الأموية، ص ٥٤٥ .

٣ ثورة أهل **فلسطين** ١٢٧هـ: أعلن والي فلسطين ثابت بن نعيم الجذامي الثورة على مروان بن محمد، ولكن الخليفة الأموي الجديد عاجله وكتب إلى أبي الورد الذي قمع ثورة الغوطة، وفك حصار دمشق، أن يسير إلى ثابت، فلما صار أبو الورد قريباً منه خرج أهل طبرية على ثابت فهزموه واستباحوا عسكره وتبعه أبو الورد فالتقوا واقتتلوا، فهزمه أبو الورد ثانية، وتفرق أصحابه وأسر ثلاثة من أولاده وبعث بهم إلى مروان واستطاع الوالي الجديد الذي عينه مروان على فلسطين وهو الرماحس بن عبد العزيز الكناني أن يقبض على ثابت ابن نعيم وأن يرسله إلى مروان، فأمر بقتله هو وأولاده الثلاثة .د. الصلابي، الدولة الأموية، ص ٥٤٥ .

إذا كانت بلاد الشام قد رفعت راية العصيان ضد حكم مروان بن محمد فطبيعي أن تقوم في **العراق** حركات أشد خطراً، خاصة وأنه الإقليم الأكثر عداوة للحكم الأموي، منذ أن أصبحت بلاد الشام مركز السلطان، **واشتُهِرَ العراق بأنه مركز الشيعة، وحركات الخوارج** وتستعر في نفوس أهله عصبية إقليمية غذت بموجبها الهوية العراقية، منطلقاً لتطرف لا حدود له ضد كل نزعة شامية. ووجد **الخوارج** في تصدع بني أمية فرصة للانتفاضة ضد الحكم الأموي، وتوجيه ضربة قاسية إلى مروان بن محمد قد تنهي حكم أسرة طالما مقتوها وأرادوا التخلص منها، وتميزت حركتهم في هذه الفترة بالشمولية، فبعد أن كانت قلة العدد طابع جيوشهم، أضحوا الآن يقاتلون بأعداد جماهيرية كبيرة. فبعد أن حركة الخوارج بعد تسعين عاماً من العمل العقائدي الثوري، غدت أكثر عدداً بما انضم إليها من مختلف الطبقات، إذ لم تعد تقتصر على المؤمنين الصادقين في إيمانهم الخارجي كما في السابق، بل أضحت حركة **سياسية** أكثر منها حركة **دينية**، وفتحت أبواب صفوفها لكل من يجيء إليها صادقاً أو غير صادق ذا رأي قد لا يتفق تماماً مع مبادئه، ولكنه يشاركها العداء لبني أمية. وتعددت حركاتهم بعد مقتل الخليفة الوليد الثاني في عام ١٢٦هـ وكان مسرحها العراق وشبه الجزيرة العربية، حيث دخلوا **الكوفة**، واستولوا على **البصرة** وعلى **حضرموت** إلا أن مروان بن محمد تصدى لهم وهزمهم في أكثر من معركة في نواحي **كفرتوثا** من أعمال **ماردين**، وفي **عين التمر**، وفي **جيرفت**، وفي **وادي القرى** شمالي الحجاز، وتغلب عليهم وأجلاهم عن العراق، واستعاد سيطرته على الحجاز واليمن. من أبرز قواد الخوارج في تلك الفترة **الضحاك بن قيس الشيباني** الذي قام بثورته في العراق ما بين أعوام ١٢٧ – ١٣٠هـ، **وأبو حمزة الخارجي** الذي قام بثورته في الجزيرة العربية ما بين أعوام ١٢٨ – ١٣٠هـ. د. محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص ١٧٦ – ١٧٧.

تزعـم عبـد الله بـن معاوية بن عبد الله بن جعفر آخر حركة قام بها **الشيعة** ضد الدولة الأمويـة وانضم إليها شيعة **الكوفة** وبايعوه بالخلافة وخرج في شهر محرم مـن عـام ١٢٧هـ / ٧٤٤م لقتـال أهل الشام في **الحيرة** ، ويبدو أن الشيعة خذلوه عندما نشب القتال، وفروا من أرض المعركة ولم يثبت معه سوى **ربيعة والزيدية**، فاضطر إلى التراجـع إلى الكوفـة، وتبعه الأمويون، وشهدت شوارع المدينة مجابهات عنيفة بين الطرفـين وتمكن الجيش من السيطرة على الموقف. ومنحه الوالي الأموي عبد الله ابـن معاويـة الأمـان والإذن بالانسحاب، فارتحل إلى **فارس** حيث أعاد تنظيم صفوفه وقوي أمره بمـا انضم إليه من الموالي، والعبيـد، والعباسيين الثائرين على الحكم الأموي، والأمويين الناقمين على مروان الثاني، وكل طامع في عطية أو وظيفة وبقايا الخوارج الذي طردهم مروان الثاني في الموصل . وكان الحشد الذي التف حوله غير متجانس كل ما يجمعه هو العداء لمروان الثاني، لذلك لم يستطع المواجهة، ولم يتم له الصمود والاستمرار طويلاً، فانفرط عقده عند أول هزيمة مني بها أمام قوات مروان الثاني عند مدينة " مرو الشاهجان " في نهاية عام ١٢٩هـ / ٧٤٧م.

وقال ابن عساكر : وقد كان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ظهر وبويع له بالخلافة **بأصبهان** في سنة سبع وعشرين ومائة في خلافة مروان بن محمـد، وملـك **فارس وكرمان** وكثر تبعه وجيء بالأموال، وملك تلك البلاد وقوي أمره وكانت بينـه وبين عمّال مروان وقائع وحروب كثيرة، ولم يزل هناك إلى أن جاءت الدولة العبّاسية، ثم حارب مالك بن الهيثم صاحب أبي مسلم، فظفر به وحمله إلى أبي مسلم فحبسه وقتله، ويقال : بل مات في سجنه. د. علي الصلابي، الدولة الأموية، ص ٥٤٩.

كان **عبد الله بن عمر بن عبد العزيز** والياً على **العراق** ومركزه **الكوفة**، والراجح أنه كان ذا نزعات استقلالية، إذ بعد تغلبه على عبد الله بن معاوية، أضحى له من السلطان والقوة ما بدا له أن باستطاعته الانتفاضة على حكم **مروان بن محمد**، فنقض بيعته له، واعتمد في تحركه على **القبائل اليمنية** من أهل الشام المقيمين في **الكوفة والحيرة**، الذين ساءهم خضوع الشام للنفوذ القيسي.

لم يُعِر مروان بن محمد هذه الانتفاضة التفاتة جدية في بادئ الأمر، فترك عبد الله وشأنه لاعتقاده بأنه لا يشكل خطراً كبيراً على مركزه، ولكن حين بدا له أن مطامع واليه السابق على العراق قد وصلت إلى حد الخطر بما توافر له من القوة والمنعة، والنية في التوسع، قام لمواجهته **وبعث إليه بجيش من الشام بقيادة النضر بن سعيد الحرشي**، أحد رجالات قيس المشهورين، فاصطدم به، ودارت بين القوتين معارك هي إلى المناوشات الخفيفة أقرب، لم تؤدِ إلى نتيجة حاسمة، وظل الفريقان على هذه الحال حتى ظهرت مشكلة أكثر خطورة، تمثلت في الخوارج الذين برزوا مجدداً على مسرح الأحداث في العراق، وانهمك مروان بن محمد في التصدي لهم، وترك أمر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز.

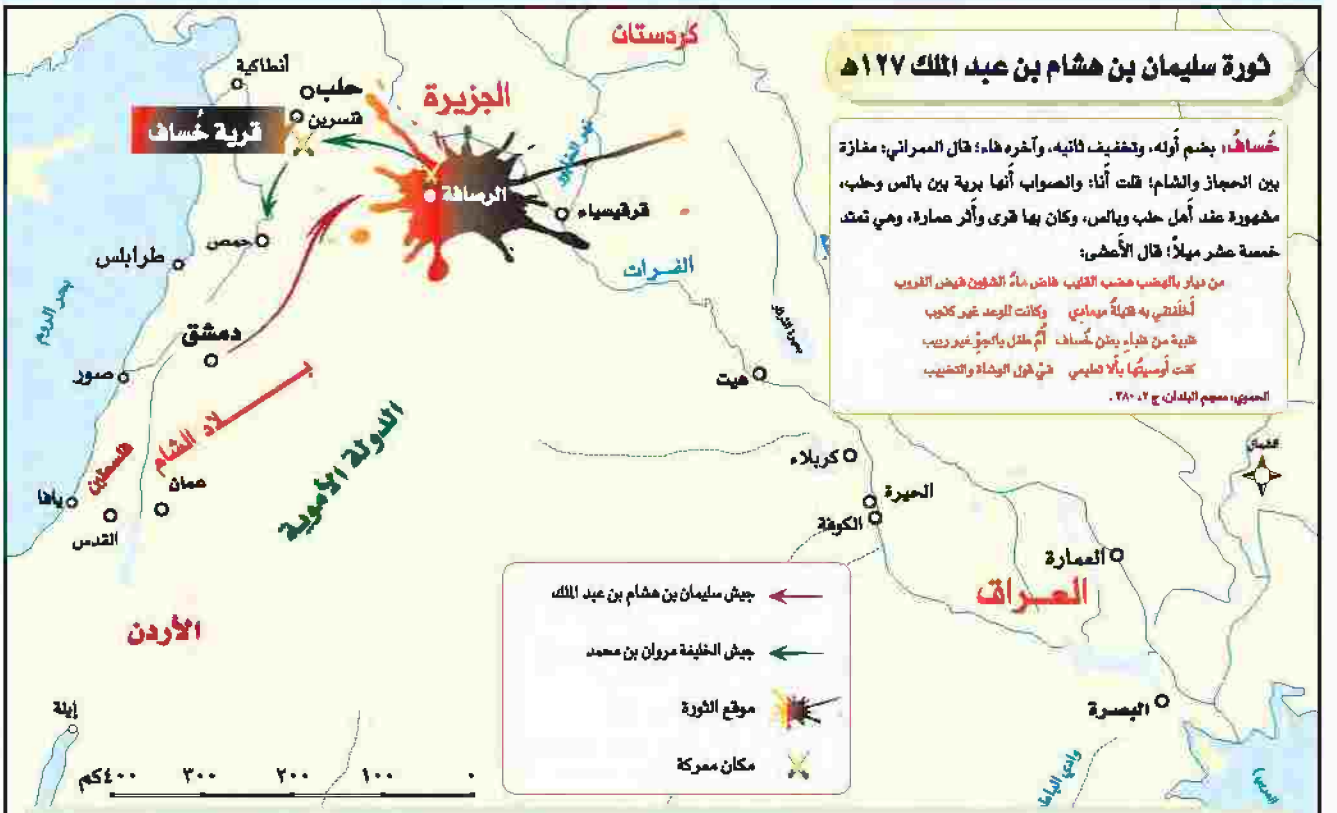

توقع مروان أن مصاهرته لأبناء هشام بن عبد الملك كافية لرأب الصدع بين أبناء البيت الأموي كله، وأن الأمر في الشام قد استقام له ولهذا أخذ في إعداد جيش قوامه عشرون ألفاً تحت قيادة **يزيد بن عمر بن هبيرة** لمواجهة **ثورة الخوارج في العراق** الذين خرجوا عليه بزعامة الضحاك بن قيس الشيباني منتهزين فرصة انشغاله بثورات الشام، كما ضرب على أهل الشام بعثاً للحاق بيزيد ومعاونته في حرب الخوارج، وكان سليمان بن هشام – شقيق زوجتي ولدي مروان – قد استأذنه في الإقامة **بالرصافة** أياماً للراحة فأذن له، وبينما يقوم مروان بالإشراف بنفسه على تجهيز جيش ابن هبيرة **في قرقيسياء**، فاجأته ثورة عارمة قادها صهره سليمان، حيث انفلت عشرة آلاف من أهل الشام الذين استنفرهم مروان لقتال الخوارج وذهبوا إلى **سليمان بالرصافة**، ودعوه إلى خلع مروان، فأجابهم إلى ذلك دون أن يعبأ ببيعته وعهوده التي قطعها على نفسه للخليفة ولا مراعاة لصلة الرحم والمصاهرة الجديدة بل ودون أن يضع في تقديره الظروف التي تمر بها الدولة الأموية كلها، استفحلت ثورة سليمان فقد اجتمع حوله سبعون ألفاً عسكر في قرية تسمى **خساف من أعمال قنسرين**. فاجأت هذه الأخبار مروان على غير توقع، فقرر أن يسير إلى سليمان بنفسه فقصده في **خساف**، حيث دارت بينهما معركة كبيرة هزم فيها سليمان، وقيل – قتل حوالي ثلاثين ألفاً من أتباعه، وهرب هو بمن بقي من جيشه إلى **حمص**، ولكن مروان لاحقه إليها، ففر منها هارباً قبل وصول مروان، تاركاً فيها أخوه سعيد بن هشام، ثم وصلها مروان وضرب عليها الحصار لمدة عشرة أشهر، ثم استسلمت له. في هذا الجو العصيب، الذي انقسم فيه الأمويون على أنفسهم وأخذوا يحاربون بعضهم بعضاً، وبينما مروان يحاول رأب الصدع وإعادة الأمور إلى نصابها في الشام والحجاز والعراق واليمن وبينما مروان يواجه هذا الموقف الصعب وينتقل من ميدان إلى ميدان، **فاجأته الثورة العباسية من خراسان** كالسيل المُنهمر، فاكتسحت قواته في خراسان والعراق ثم كانت هزيمته الساحقة في **موقعة الزاب في جمادى الآخرة ١٣٢هـ**، وفراره إلى **مصر** ومقتله هناك في ذي الحجة من نفس العام . د . علي الصلابي، الدولة الأموية، ج ٢، ص ٥٥٠ – ٥٥١ .

إعلان الدعوة العباسية

أرسل إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، بكير بن ماهان إلى خراسان سنة ١٢٦ هـ، فقويت شوكتهم هناك، واجتمعت جماعة من الدعاة العباسيين بإبراهيم بن محمد سنة ١٢٧ هـ، فقام إبراهيم بن محمد بإرسال أبي مسلم الخراساني إلى خراسان، وطلب من شيعته الطاعة له سنة ١٢٨ هـ، فلم يطيعوه فرجع إلى إبراهيم فأعاده، وطلب منه أن يعتمد على اليمانية إذ إن والي خراسان نصـــر بن سيار كان يعتمد على القيسية[١].

ومن المعلوم بمكان أن العباسيين اتخذوا « التسويد » وهو نشر العلم الأسود، ولبس الثياب السود، شعاراً لدعوتهم وتمييزاً لأنفسهم وأتباعهم عن بني أمية وأتباعهم؛ الذين كانوا قد اتخذوا البياض شعاراً لهم .

وفي واقع الحال فقد ظلت الدعوة العباسية سرية حتى رمضان من سنة ١٢٩ هـ حينما أمر أبو مسلم الخراساني " بالتسويد " ولبس أتباعه السواد جهراً، فكان ذلك بدءاً لإعلان الدعوة العباسية. ومن ذلك الحين وقع القتال المنظم بين بني أمية وبين أتباع بني العباس[٢] .

ثم إن الدعوة كانت حتى ذلك الحين إلى الرضا من آل محمد ولم يكن أبو مسلم قد كشف بعد أنه يعني بآل محمد أبناء العباس لا أبناء أبي طالب – والعباس وأبو طالب عمّان للرسول – إلا أن الاعتقاد السائد آنذاك هو أن الأمر سيؤول إلى أحد أبناء علي بن أبي طالب . وكان العباسيون أنفسهم يوهمون الطالبيين بذلك .

ولما وقعت الحرب بين المسوّدة وبين بني أمية فوّض أبو مسلم أمر الحرب إلى قحطبة بن شبيب الطائي. ثم إن المسوّدة أخذوا يستولون على خراسان بلداً بلداً، بينما كان الأمويون يتراجعون شيئاً فشيئاً نحو الغرب. ولقد استنجد نصر بن سيار والي خراسان بمروان الثاني فلم يستطع مروان الثاني إنجاده، ولما بلغ تراجع نصر بن سيار مرو عاصمة خراسان مرض هناك وتوفي في ربيع الأول سنة ١٣١ هـ .

ثم ما زال قحطبة بن شبيب الطائي يتقدم حتى بلغ العراق، فحاربه والي العراق يزيد بن عمر بن هبيرة ولكنه انهزم في المحرم سنة ١٣٢ هـ وكذلك قتل قحطبة في تلك المعركة نفسها، فقام بالأمر بعده ابنه الحسن بن قحطبة واحتل الكوفة ، وهنا أعلن أبو مسلم أن الخلافة لآل العباس، وأن الخليفة عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الذي عرف فيما بعد بـ (السفاح) فبويع له بالخلافة في الكوفة[٣].

---

١ – الشيخ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج٣-٤، ص ٢٠٤، نشر المكتب الإسلامي .

٢ – ٣ . أ. عمر فروخ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ص ٢٠٣ – ٢٠٤ ، دار العلم للملايين .

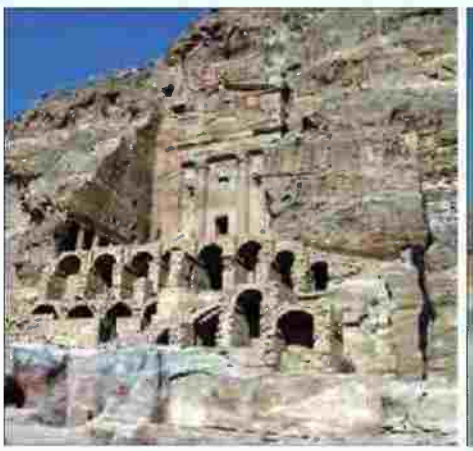

صورتان لموقع الحميمة والمنطقة الأثرية فيها.

معركة الزاب : كان قحطبة بن شبيب الطائي قد أرسل من مدينة نهاوند أحد قواده أبا عون الأزدي، فلقي عبد الله بن مروان ابن محمد على الزاب الأصغر، أحد روافد دجلة، فهزمه في ذي الحجة من سنة ١٣١ هـ، فخفّ حينئذ **مروان الثاني** نفسه على رأس جيش عدده مائة وعشرون ألفاً، ولم يكن مع أبي عون سوى عشرين ألفاً. ولكن السفاح أنجد أبا عون بجيش من أهل **الكوفة** عليه عمه عبد الله بن علي . فلما وصل عبد الله بن علي إلى مشهد المعركة عسكر على الضفة الشرقية من نهر **الزاب الأكبر** (جنوبي الموصل)، بينما كان مروان على الضفة الغربية.

قطع مروان بن محمد الزاب ليباغت العباسيين، ولكنه وجد أن قلوب أصحابه متفرقة، فأحب أن يحمسهم، ولكنه ارتكب خطأً فادحاً ، إذ أعلن لهم أن معه في خيمته أموالاً سيوزعها عليهم بعد المعركة، طمع الجند بالمال، ورجعوا نحو الخيمة فوقعت فيهم الفوضى فالهزيمة في ١١ ربيع الثاني سنة ١٣٢ هـ كانون الثاني ٧٥٠ م . وكان من غرق في نهر الزاب من الأمويين أكثر ممن قتل منهم بالسيف .

أ . عمر فروخ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ص ٢٠٥ ، دار العلم للملايين .

سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ

لقد خلّف "هشام" أربعة من الخلفاء الأمويين عجزوا عن ممارسة السلطان، وأفلت منهم زمام الحزم، وأتاحوا الفرصة لعوامل الهدم والاضمحلال، فراحت الدولة الأموية تتهاوى وتترنح. وقد كان ظهور العباسيين في هذه الفترة على مسرح الأحداث يمثل ضربة قاصمة أطاحت بالبيت الأموي عن عرش الخلافة الإسلامية. بعد أن انتهت معركة الزاب سنة ١٣٢ هـ لصالح العباسيين، حيث استولى عبد الله ابن علي العباسي على الجزيرة والشام بينما هرب **مروان بن محمد** إلى مصر، لكن الجيوش العباسية اقتفت طريقه، وبعد أن عبر مروان النيل لحقه صالح بن علي عم السّفّاح، فأدركه بقرية من قرى **الفَيُّوم** من أرض مصر يقال لها بُوصير، فوافاه صائماً وقد قدّم له الفطور، فسمع الصائح فخرج وسيفه مصلت، فجعل يضرب بسيفه ويتمثل بقول الحجاج بن حكيم :

متقلّدين صفائحاً هندية
يتركن من ضربوا كأن لم يولد
وإذا دعوتهم ليوم كريهة
وأفوك بين مكبر وموحّد

فقصدته الخيول من كل جانب، وبقي يقاتل حتى قُتِل وكان من كلامه قبل أن يقتل : إن الجزع لا يزيد في الأجل وإن الصبر لا ينقص الأجل وكان يتمثل بهذين البيتين كما جاء في بعض الروايات :

ذلّ الحياة وهول الممات
وكلاً أراه وخيماً وبيلا
فإن كان لا بد من ميتة
فسيري إلى الموت سيراً جميلاً

وبمقتله انتهت الدولة الأموية في المشرق، وقامت الدولة العباسية، حيث بويع عبد الله بن محمد الملقّب بأبي العباس السفاح بالخلافة في الكوفة في ربيع الأول سنة ١٣٢هـ، قبل مقتل مروان بن محمد بشهور. وصدق الله القائل: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [1].

---

١ - سورة آل عمران: ٢٦.

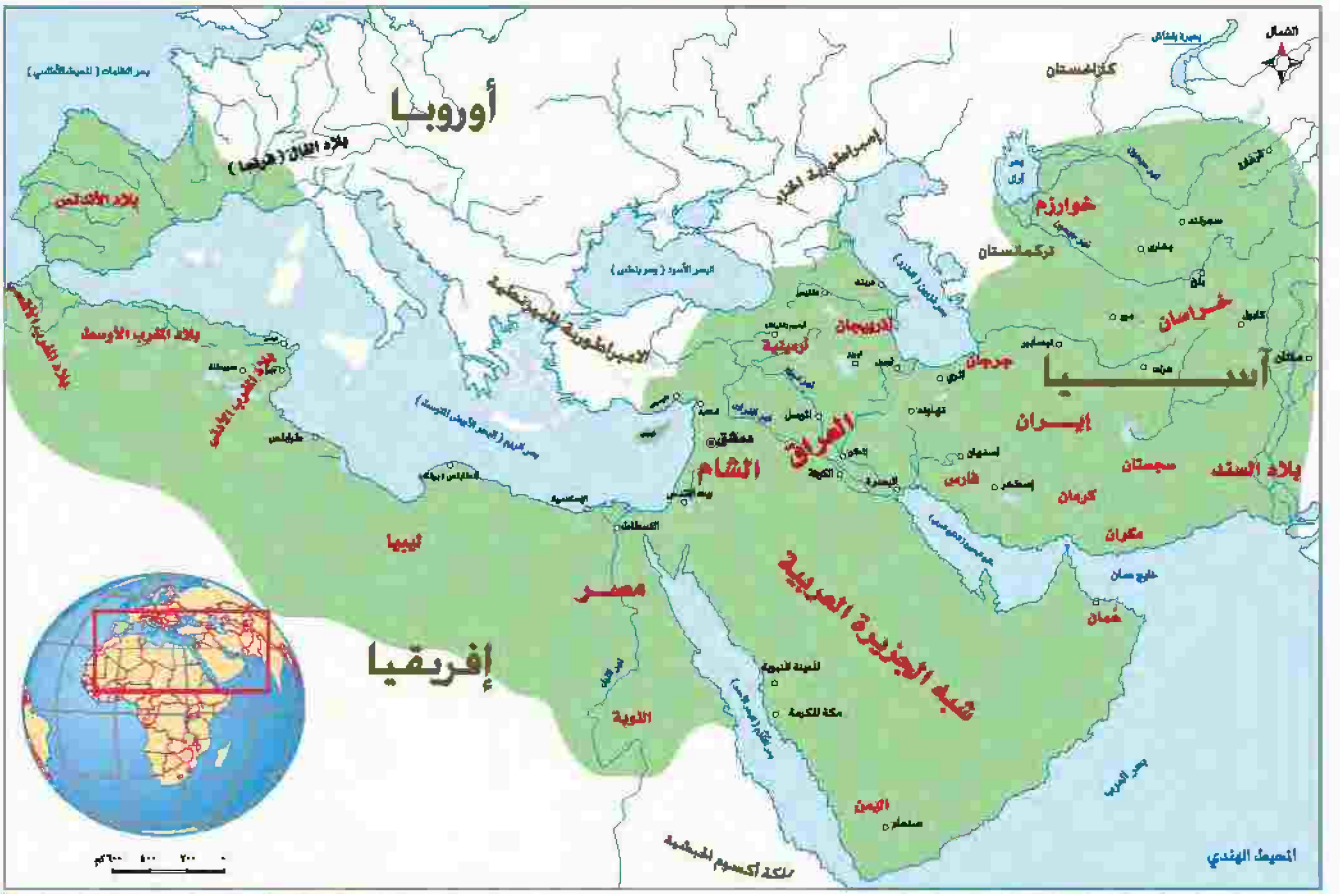

أقصى حدود دولة الخلافة الأموية سنة ١٣٢ هـ

تولى الخلافة معاوية بن أبي سفيان سنة ٤١ - ٦٠ هـ (٦٦٢ - ٦٨٠م)، بعد أن أجمع المسلمون بخلافة معاوية وتنازل الحسن بن علي - رضي الله عنهما - له في عام الجماعة سنة ٤١ هـ، حيث اتخذ معاوية من **دمشق** عاصمة للخلافة الإسلامية. وأسس معاوية بذلك الخلافة الأموية وأرسى كيانها كخلافة قوية جذبت مخالفيه على طاعته، وأرسى كيان الدولة وعمل على توحيد المسلمين. وتميز حكمه بالحكمة والعدل. وصل إشعاع الحضارة الإسلامية من دمشق إلى أصقاع بعيدة من العالم لتكون الدولة الأموية أكبر دولة إسلامية عرفها التاريخ، وأضحت دمشق منارة للعلم، والعلماء، والفقهاء، واهتم الخلفاء الأمويون بالعمارة، وإنشاء المساجد، والتي تعد أهم المعالم الإسلامية اليوم، وفتحوا الكثير من البلاد من حدود الصين شرقاً - كما هو واضح في الخريطة أعلاه - إلى المغرب الأقصى وبلاد الأندلس غرباً، حتى أخذ نجم الدولة بالأفول مع آخر الخلفاء الأمويين مروان الثاني بن محمد سنة ١٢٧ - ١٣٢ هـ (٧٤٤-٧٥٠م) الذي واجه مؤامرة من العباسيين الذين تمكنوا من قبض زمام الأمور وتكوين دولتهم في خراسان إلى أن انتهى مقتولاً في دير بمصر بعد هروبه من جنود العباسيين، وبه انتهى عصر الخلافة الأموية في المشرق والذي دام أكثر من ٩٠ سنة.